مصطلحات و مفاهيم في تاريخ الجزائر الحديث

احتلال فرنسا للجزائر : أين كان العثمانيون ؟

أ. أمين محرز

الدارج في المخيّلة الشعبية أنّ الدولة العثمانية فرّطت في الجزائر، و لم تعر لقضية احتلالها أيّ اهتمام ؛ و الحقيقة أنّ هذا الاعتقاد عارٍ تمامًا من الصحّة، فدون اتّخاذ موقف تبريري المعلوم أنّه كانت للعثمانيين عدّة مساعي لاستعادة الجزائر، غير أنّ ظروفًا و عوامل خلال الفترة (1827-1837) وقفت حائلاً دون إنجاد الجزائريين و مدّ يد المساعدة لهم ، و نذكر منها :

① الواقعة الخيرية (1827)

لقد قضت الدولة في الواقعة على أهم مؤسسة عسكرية تقليدية فيها، تلك المؤسسة الّتي كانت محطّ أنظار الجميع، و الّتي أحرزت الدولة في أزمان ماضية انتصاراتها بفضل شجاعتها و كفاءتها ؛ و بغضّ النظر عن التعليقات الكثيرة التي قيلت حول الواقعة، فإن القضاء على الانكشارية كان أمرًا لا مفر منه بسبب درجة الانحلال الّتي وصلوا إليها، إلا أنّه جاء في وقت متأخّر و كلّف الدولة ثمنًا باهظًا يتجلّى في عدم تمكّنها من تدريب الجيش الجديد في ظرف سريع، مما عرّضها لهزائم أمام الجيوش الروسية و من بعدها المصرية.

② معركة ناڤارين (1827)

دون أن يرفع علم الحرب، هاجم الأسطول الأوروبي المشترك - الّذي ضمّ ثلاثة عمائر : انكليزية و فرنسية و روسية - على حين غرة الأسطول العثماني المصري - الّذي ضمّ أيضًا عمارة تونسية - الراسي في ميناء ناڤارين الواقع جنوب غرب المورة ؛ و خلال ثلاث ساعات و نصف، أغرقت أو احترقت سبعة و خمسين سفينة عثمانية، كما استشهد نحو ثمانية آلاف جندي و بحّار. كانت الدولة العثمانية يمكن القول بلا جيش نظامي جاهز، و أضحت حينها بدون أسطول.

TRIAL MODE − a valid license will remove this message. See the keywords property of this PDF for more information.

③ الحرب الروسية العثمانية (1828-1829)

اشتعلت الحرب بعد أن أغلق السلطان محمود الثاني مضيق الدردنيل في وجه السفن الروسية، انتقامًا لمشاركة روسيا في معركة ناڤارين. و أسفرت الحرب عن سلسلة من الهزائم فقدت الدولة العثمانية جرّاءها مناطقها القوقازية، و الأخطر من ذلك تقدّم القوّات الروسية في الجبهة البلقانية حتّى احتلّوا العاصمة العثمانية القديمة أدرنة، و باتوا يهدّدون اسطنبول نفسها ؛ كما اضطرّت إلى دفع غرامات حربية ثقيلة رفض داي و ديوان الجزائر المساهمة فيها.

④ مشروع محمّد علي (1829-1830)

بسبب عدم اطمئنان الفرنسيين لقدرة قوّاتها هزيمة الجزائريين، ارتأوا إشراك حليفهم المصري الطموح في حملتهم المزمعة "لمعاقبة داي الجزائر". و تمثّل المشروع المقترح في استعمال أربعين ألف رجل من جيش محمّد علي للاستيلاء على طرابلس الغرب و تونس و الجزائر ؛ و بالمقابل، سيحكم هذه الولايات الثلاث باسم السلطان و سيدفع الضرائب و سيسدّد الديون السابقة، كما أنّه سيمنع في المستقبل تسليح موانئها الرئيسية.

⑤ مناورات فرنسا الدبلوماسية لإفشال مهمّة طاهر باشا

ناورت السفارة الفرنسية باسطنبول حتّى باتت متأكّدة أنّ الحملة العسكرية على وشك الخروج و أنّ مهمّة الجزائري طاهر باشا چنكل زاده لحلّ الأزمة الفرنسية الجزائرية سوف لن تؤدّي إلى أيّة نتيجة ؛ فقد استطاعت تأخير سفر المبعوث العثماني المذكور لعدّة أسابيع أوّلاً بدعوى إرفاقه بمبعوث فرنسي لن يعيّن قط، و ثانيًا عندما مانعت تسليمه رسالة - هي بالأحرى رخصة مرور - إلى قائد عمارة الحصار.

⑥ تواطؤ باي تونس مع الفرنسيين

قام باي تونس ببثّ معلومات مضلّلة حول الحملة الفرنسية لنظيره الطرابلسي - حليف الجزائريين -، كما سمح للفرنسيين باتّخاذ الأراضي التونسية منطلقًا لتوزيع مناشيرهم الدعائية في أنحاء الإيالة ؛ و فوق ذلك، منع المبعوث طاهر باشا من النزول إلى برّ تونس للتوجّه إلى الجزائر، و اضطرّه إلى مواصلة الطريق بحرًا حيث أوقفته سفن الحصار. و قبيل سقوط قسنطينة، لم يتورع عن منع المساعدات العسكرية العثمانية ("**أربع بواخر**(كذا) **مشحونة بالجنود الأتراك و على متنها 12 مدفعًا و 150 من المختّصين في المدفعية و ما يتبع ذلك من العتاد**") عن آخر ممثّل للسلطة العثمانية بالجزائر، أحمد باي.

TRIAL MODE − a valid license will remove this message. See the keywords property of this PDF for more information.

⑦ حملة إبراهيم باشا على الشام (1831-1833)

طلب محمد علي باشا من الباب العالي منحه بلاد الشام، كمكافأة لمساعدته السلطان خلال حرب الاستقلال اليونانية ؛ و لمّا لم يجب على سؤله، اتّخذ من إيواء حاكم عكا الهاربين من التجنيد المصري ذريعة لشنّ الحرب المصرية العثمانية الأولى. نتيجة هزائم العثمانيين المتتالية، سيطرت قوّات محمد علي على الشام، و تقدّمت شمالاً في الأناضول حتّى كوتاهية. و اضطرّت الدولة العثمانية لإبرام تحالف مع روسيا للوقوف في وجه التقدّم المصري باتّجاه اسطنبول.

⑧ سقوط قسنطينة (1837)

من بين دوافع الدولة العثمانية في القضاء على حكم الأسرة القره مانلية و إعادة فرض سيطرتها على طرابلس الغرب (1835-1838) رغبتها في أن تكون لها قاعدة للعمليات الحربية قريبة من الجزائر، حتّى تستطيع أن تمدّ يد المساعدة - كيفما كان - إلى أولئك الّذين كانوا يقاومون الغزو الفرنسي بقوة السلاح، و نخصّ بالذكر الحاج أحمد باي قسنطينة.

و لم يكن هذا المخطّط العثماني ليخفى على الفرنسيين، لا سيّما بعد أن عيِّن الجزائري طاهر باشا على رأس الولاية ؛ ولأجل ذلك، نراهم يعجّلون بمهاجمة عاصمة بايلك الشرق في 1836 دون جدوى ؛ ثمّ يعيدون الكرّة بنجاح السنة التالية.

تجدر الإشارة إلى أنّه بعد سقوط عاصمته قسنطينة، ارتأى الحاج أحمد باي - بناءً على نصح خاله بوعزيز بن قانة - الارتداد إلى بسكرة، ليتّخذها قاعدة لمقاومته، لكن فرحات بن سعيد - الّذي عيّنه الأمير عبد القادر خليفةً له على إقليم الزيبان - أفشل حساباته و أطرده منها. و نتيجةً لذلك، خسر آخر ممثّل للعثمانلي آخر منفذ ممكن للتواصل مع الإيالة الطرابلسية.

سؤال : بناءً على ما سبق ذكره، هل تعتقد أنّ الدولة العثمانية بذلت ما في وسعها لاستعادة الجزائر؟ علّل.

المصادر و المراجع المعتمدة :

- بن أبي الضياف، أبو العبّاس أحمد. **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان**، ط.2، ج. 2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1977 ؛ مج. 2، ج. 3، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999.
- الطرابلسي، أحمد بك النائب الأنصاري. **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**، 2 ج.، ط. 2، مكتبة الفرجاني، طرابلس الغرب، د.ت.

TRIAL MODE − a valid license will remove this message. See the keywords property of this PDF for more information.

- أوزتونا، يلـماز. **تـاريخ الدولـة العثمانيـة**، ترجمـة عـدنان محمـود سـلمان، مراجعـة و تحقيـق محمـود الأنصاري. مج. 1، منشورات مؤسّسة فيصل للتمويل، استانبول، 1988.

- كوران، آرجمنت. **السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر**، ترجمة عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، 1970.

- بوضرساية بوعزّة، **الحاج أحمد باي، رجل دولةٍ و مقاوم (1826-1848)**، ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر، 1991.

- داون، جورج. **مشروع حملة محمد علي على الجزائر (1829-1830)**، ترجمة عثمان مصطفى عثمان، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010.

- الزاوي، الطاهر أحمد. **ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي**، ط. 1، دار الفتح للطباعة و النشر، بيروت، 1970.

- السعداوي، إبراهيم. "**أسباب التوتّر بين أتراك الجزائر و حكّام تونس خلال العهد العثماني**"، في : المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية 37-38، 2008، ص ص. 113-151.

- سعيدوني، ناصر الدين. "**معركة نافرين 1827**"، في : ورقات جزائرية. دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، البصائر الجديدة، الجزائر، 2012، ص ص. 327-337.

- سعيدي، خير الدين. "**دراسة تحليلية لكتاب – مرآت الجزاير – لعلي رضا باشا الجزائري، من العهد العثماني إلى الاحتلال الفرنسي**"، في : مجلة العلوم الاجتماعية، مج. 15، ع. 27، 2018، ص ص. 151-163.

- نورس، علاء موسى كاظم. "**مدى مسؤولية الإنكشارية في تدهور الدولة العثمانية**"، في : المجلة التاريخية المغاربية 25-26، 1982، ص ص. 99-112.

- Berbrugger, A. & Leclerc, « **La première proclamation adressée par les français aux algériens en 1830** », in : Revue Africaine 6, 1862, pp. 147-156.

- Emérit, M. « **Les Mémoires d'Ahmed Bey, dernier Bey de Constantine** », in : Revue Africaine 93, 1949, pp. 65-125.

- Vayssettes, M. E. "**Histoire de Constantine sous la domination turque de 1517 à 1837 (première partie)**", in : Recueil de la Société archéologique de Constantine, vol. 11, 1867, pp. 241-352.

TRIAL MODE − a valid license will remove this message. See the keywords property of this PDF for more information.